الحَدِيثُ الثَانِي والأَرْبَعُونَ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً».

[رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ](١).

هَذَا الحَدِيثُ مِنَ الأَحَادِيثِ القُدُسِيَّةِ التِي يَرْوِيهَا النَّبِيُّ ﷺ عَنْ رَبِّهِ، وَفِيهِ ثَلَاثُ جُمَل:

الجُمْلَةُ الأُولَى: أَنَّ اللهَ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ يُخَاطِبُ جَمِيعَ بَنِي آدَمَ، فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: «**يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلا أُبَالِي**» يَعْنِي: مَنْ أَحْسَنَ الظَّنَّ بِاللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَتَقَرَّبَ إِلَيهِ بِالعَمَلِ فَإِنَّ اللهَ يَغْفِرُ لَهُ الذُّنُوبَ وَالسَّيِّئَاتِ؛ لِأَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ، فَالإِنْسَانُ يَكُونُ عِنْدَهُ مُخَالَفَاتٌ وَمَعَاصٍ، وَلَكِنَّهُ إِذَا أَحْسَنَ الظَّنَّ بِاللَّهِ وَتَابَ إِلَى اللَّهِ، وَلَمْ يَقْنَطْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، واسْتَغْفَرَ: طَلَبَ المغْفِرَةَ مِنَ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، والطبراني في الأوسط (٤/ ٣١٥) من حديث أنس ﷺ، قال أبوعيسى: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، وأخرجه من حديث أبي ذر ﷺ: أحمد في مسنده (٥/ ١٤٨)، والدارمي (٢٧٨٨)، والبزار (٩/ ٤٠٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٦٩)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

اللَّـهِ، غَفَرَ اللهُ لَهُ جَمِيعَ الذُّنُوبِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ [الزُّمر: ٥٣]، هَذَا فِيهِ حَثٌّ للإِنْسَانِ عَلَى أَنْ يَتُوبَ إِلَى اللَّـهِ وَلَوْ عَظُمَتْ ذُنُوبُهُ، وَلَا يَقُلْ: هَذَا ذَنْبٌ لَا يَغْفِرُهُ اللهُ ـ بَلِ اللهُ تَعَالَى يَغْفِرُ جَمِيعَ الذُّنُوبِ، فَيَتُوبُ إِلَى اللَّـهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَيُبَادِرُ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ غَنِيٌّ كَرِيمٌ، لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ مُلْكِهِ، أَوْ ممَّا عِنْدَهُ شَيْءٌ، فَفِيهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّـهِ، وتَعَلُّقُ القَلْبِ بِاللَّـهِ، وَعَدَمُ القُنُوطِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّـهِ، وَأَنَّ الإِنْسَانَ لَا يَتَعَاظَمُ ذَنْبًا عَلَى التَّوْبَةِ، فَاللهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا.

الجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ: قَالَ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ: **«يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ»** ارْتَفَعَتْ مِنْ الكَثْرَةِ حَتَّى تَبْلُغَ السَّحَابَ، **«ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلا أُبَالِي»** فَهَذَا فِيهِ أَنَّ التَّوْبَةَ تَجُبُّ مَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَهْمَا كَثُرَتِ الذُّنُوبُ وَتَعَاظَمَتْ، وَلَوْ تَرَاكَمَتْ وارْتَفَعَتْ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ، فَإِنَّهَا تَهْدِمُهَا، التَّوْبَةُ الصَّحِيحَةُ المسْتَوْفِيَةُ لِشُرُوطِهَا، وَهِيَ:

* أَنْ يُقْلِعَ عَنِ الذَّنْبِ.
* أَنْ يَعْزِمَ أَلَّا يَعُودَ إِلَيْهِ.
* وَأَنْ يَنْدَمَ عَلَى مَا حَصَلَ مِنْهُ.
* وَإِذَا كَانَ عِنْدَهُ مَظَالِمُ لِلْعِبَادِ يَرُدُّهَا إِلَيْهِمْ، وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ المُسَامَحَةَ.

هَذِهِ هِيَ التَّوْبَةُ الصَّحِيحَةُ، وَهَذِهِ هِيَ التِي تَهْدِمُ الذُّنُوبَ وَإِنْ بَلَغَتْ عَنَانَ السَّمَاءِ، كَمَا فِي هَذَا الحَدِيثِ، فَفِيهِ التَّرْغِيبُ فِي التَّوْبَةِ، وَحُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالمبَادَرَةُ وَالمسَارَعَةُ إِلَى التَّوْبَةِ.

الجُمْلَةُ الثَّالِثَةُ: وَهِيَ أَعْظَمُ وَأَعْظَمُ، قَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ: « يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً» والقُرَابُ مَعْنَاهُ المِلْءُ، «لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ» يَعْنِي: مِلْءَ الأَرْضِ الوَاسِعَةِ، فَلَوْ مَلَأْتَهَا كُلَّهَا خَطَايَا، وَلَكِنَّكَ سَلِمْتَ مِنَ الشِّرْكِ بِاللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّكَ لَا تَيْأَسُ مِنْ مَغْفِرَةِ اللَّـهِ لَكَ، وَهَذَا كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاءُ: ٤٨]، فَالذُّنُوبُ التِي دُونَ الشِّرْكِ هِيَ تَحْتَ مَشِيئَةِ اللَّـهِ: إِنْ شَاءَ عَذَّبَ صَاحِبَهَا ثُمَّ أُخْرِجَ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ وَلَمْ يَدْخُلِ النَّارَ.

فَدَلَّ هَذَا عَلَى خَطَرِ الشِّرْكِ ـ وَالعِيَاذُ بِاللَّـهِ ـ وَأَنَّ الشِّرْكَ لَا يَصِحُّ مَعَهُ عَمَلٌ، وَلَا يَطْمَعُ صَاحِبُهُ بِمَغْفِرَةِ اللَّـهِ مَا لَمْ يَتُبْ مِنْهُ، فَمَنْ مَاتَ عَلَى الشِّرْكِ فَإِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَلَوْ كَانَ عَاصِيًا وَفَاسِقًا وَمُرْتَكِبًا لِكَبَائِرَ دُونَ الشِّرْكِ، وَفِيهِ سِعَةُ رَحْمَةِ اللَّـهِ وَعَفْوِهِ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ لِأَهْلِ الإِيمَانِ وَأَهْلِ التَّوْحِيدِ، «لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً» مَغْفِرَةً تَمْلَأُ الأَرْضَ مِثْلَمَا تَمْلَؤُهَا الذُّنُوبُ، وَمَغْفِرَةُ اللَّـهِ أَوْسَعُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النَّجْم: ٣٢]، لَا يَتَعَاظَمُهَا شَيْءٌ مِنَ الذُّنُوبِ.

فَهَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ فِيهِ هَذِهِ الجُمَلُ الثَّلَاثُ التِي فِيهَا البِشَارَةُ لِأَهْلِ الإِيمَانِ وَأَهْلِ التَّوْحِيدِ، وَفِيهَا الإِنْذَارُ لِأَهْلِ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ بِاللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَحَثُّهُمْ عَلَى المُسَارَعَةِ لِلتَّوْبَةِ مِنَ الكُفْرِ وَالشِّرْكِ قَبْلَ المَوْتِ، فَمَنْ مَاتَ وَهُوَ مُشْرِكٌ فَلَا طَمَعَ لَهُ فِي مَغْفِرَةِ اللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا مَنْ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ فَهُوَ وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ ذُنُوبٌ وَمخَالَفَاتٌ كَثِيرَةٌ تَمْلَأُ الأَرْضَ فَإِنَّ اللهَ

يَغْفِرُ لَهُ بِتَوْحِيدِهِ لِلَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَبَرَاءَتِهِ مِنَ الشِّرْكِ، فَهَذَا فِيهِ فَضْلُ التَّوْحِيدِ وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَفِيهِ خَطَرُ الشِّرْكِ، وَفِيهِ الحَثُّ عَلَى المُبَادَرَةِ بِالتَّوْبَةِ، وَفِيهِ سِعَةُ مَغْفِرَةِ اللَّـهِ عَزَ وَجَلَّ وأَنَّهَا تَسَعُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزُّمر: ٥٣].

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

انْتَهَى هَذَا الشَّرْحُ المُبَارَكُ فِي فَجْرِ يَوْمِ الإِثْنَيْنِ: ٢١/ ١١/ ١٤٢٧هـ

* * *